

دمية القصر

أفكّر في حالي وفي الدهر لا أرى ... سوى ملكٍ يَعنو له الشرقُ والغربُ .
القسم الرابع .

في شعراء الريّ والجبال وأصفهان وفارس وكَرِّمانَ .
الوزير الصّافيّ .

أبو العلاء محمد بن عليّ بن حَسّول .

من عِلّية الكُتاب والداخلين على أنواع الفضل من كل باب . فاللفظ أريّ مَشورٌ والخطُّ
وشّيّ منشورٌ . ولم يزل منذ حُلّت توائمه بين البُلغاء منظوراً وكالأغرّ المحجّجّ ل بين
الدُّهم المصمّنة مشهوراً . وانتفّق لي أني لقيتُه بالرّبيّ في داره بدرّب راذمُ هَيران
فصغّر الخَبر الخُبرُ وانتالت عليّ من محاضراته الأزهار والزُّهر . وأنشدته قصيدتي
فيه وهي :

يا حاديّ العيرِ رِفقاً بالقوارير ... وقِفْ فليسَ بعارٍ وَقِفْ العيرُ .

واحلبِ مآقي عَيْنٍ قَصَرتْ ... حُمَرَ الدموع على البيض المَقاصير .

فأعجب بها وتعجّب منها وقال : لولا وَهْنُ رُكبتِي لرقصتُ على نسيبه . فهذا كلام كله
طيبٌ وليس للداء الرُّكبتين طبيب . ثم انتقلتُ بنا الأحوال إلى أن كدّرت منافسة الصنعة
ماء الوّد فنضّوْنا أرديته كما يَنضو الفتى شَمَلَ البُرد . ومما دار بيني وبينه أنه
أنشأ رسالةً في فضل الحرّ على البَرْد وناقضتُه برسالةٍ على الصّدّ فقال لي : لا
يفضّل البَرْد إلا بارد فقلت : ولا السّخنة إلا سخينٌ عينٍ . فبقي كالمبهوت ملجماً

بالسكوت وأنا مع هذا لا يَندُتُه على خشونته وواردته على كُدورته ومُثن على معاليه
بلسان الإنصاف غير طاعن فيه بسان الانتصاف . فمهما أنشدني لنفسه في دار الكتب بالريّ في
شوال سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قوله يهجو بعض المتكبّرين عليه :

دخلتُ على الشيخ فيمَن دخلُ ... فغربل عُصْمَه وانتخلُ .

وأظهرَ من نَخوة الكبرياء ... ما لَم أقدّر وما لم أخلُ .

فقلتُ له مؤثراً نُصَحَه ... وقد يُقبَل الذُّصْحُ ممَّنْ بَخَلُ : .

إذا كنتَ سيِّدنا سُدْ تَنَا ... وإنْ كنتَ للخال فاذهبْ فخلُ .

فقال : اغتفرْ زِلّاتي مُذْ عِمّا ... فإنّي نَغْلُ بزيتٍ واخلُ .

وكم من وزيرٍ كبيرٍ عَرا ... ه عند قضاء الحقوق البَخَلُ .

أخلّ بحقّ دُهاة الرجال ... فما زال يصفع حتى أخلّ .

وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ دَاعَبَ بِهَا ابْنَ الْجَدِّانِ ؛ أَدِيبَ الْعِرَاقِ وَكَانَ مُخْتَصِباً : .
سَدَّيْ كَسَنَ أَدِيبَ الْ ... عِرَاقِ زَيْنِ الطَّرَافِ .
مَجْتَثِ .

سَتَّ وَسَتُونَ عَاماً ... مَا بَيْنَنَا مِنْ خِلَافٍ .
وَمِنْهَا فِي الشَّكَايَةِ : .

لَكِنَّ شَيْبِيَّ بَادٍ ... وَشَيْبُهُ فِي غِلَافٍ .
وَأَسْلَمَتْنِي وَذَنْبُ الْ ... مَشَيْبِ فِيهِ افْتِرَاقِي .
مِنَ الطَّبَّاءِ الْعَوَاطِي ... إِلَى الضَّرْبِ بِلِجَافِ الْقَوَافِي .
وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضاً : .

يَا فَتَى ضَبَّةٍ الَّذِي ... هُوَ بِدَرُّ الدُّجُنَّةِ .
بِأَبِي وَجْهُكَ الَّذِي ... فِيهِ نَارِي وَجَدَّتِي .
وَالذُّغُورُ الَّتِي تُضِي ... الدُّجَى حِينَ جَدَّتِ .
وَاللِّحَاطُ الَّتِي جَدَّتْ ... نَظَرًا أَوْ تَجَدَّتْ .
رَشَقَتْنِي سَهَامُ مَهْنٍ ... نَ فَلَمْ تُغْنِ جَدَّتِي .
فِيكَ أَخْشَى عَلَى الْحَيَا ... لِي سُقُوطَ الْأَجِنَّةِ .
حَقٌّ لِلنَّفْسِ أَنْهَا ... بِكَ يَا بِدَرُّ جَدَّتِ .
عُذْتُ بِإِ مَخْلِصًا ... رَبِّ نَاسٍ وَجَدَّتْ .
أَبُو عَلِيٍّ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ .
بَنَ فُؤُورَ جَعَةِ الْبُرُوجِ رَدِيٍّ .

هُوَ فِي الصَّنْعَةِ مِنَ الْفُحُولِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ طَرَفٌ مِنَ الْفُضُولِ وَشِعْرُهُ فَرَحٌ شِعْرُ الْأَعْمَى
أَعْنِي شَاعِرَ نَعَرَرةِ الذُّعْمَانِ . وَإِنْ كَانَ هَذَا الْفَاضِلُ مُنْزَهَاً عَنْ مَعْرِةِ الْعُمَيَّانِ .
أَنشَدَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَامِرٍ الْجُرْجَانِيُّ قَالَ : أَنشَدَنِي ابْنُ فُؤُورَ جَعَةِ لِنَفْسِهِ : .
دَعَانِي أَمْرٌ لَطِيْفٌ ... لَا تَعْقِلَنَّ مَطِيَّتِي .
هَذَا الَّذِي فِي عَارِضِي ... يَ فُضُولُ مِسْكٍ ضَافِيرَتِي .
أَتُحْمِيذُنِي وَجَدًّا وَأَنْ ... تَ سَمِيٍّ مُحْيِي الْمَيِّتِ .
تَقْبِيلُ ثَغْرِكَ مُذِيَّتِي ... وَلَوْ أَنَّ فِيهِ مَذِيَّةٌ لَتِي .
سَهْلٌ عَلَيَّ مَنَالُهُ ... لَكِنْ بِلَاثِي عِيفَتِي